2. قيادة المؤسسات العسكرية في مجتمع المخاطر

رسم خريطة للتعقيد الإستراتيجي الجديد

فرانس أوسنجا وجوليان لندلي – الفرنسي

المقدمة

ليس من السهل قيادة المؤسسات العسكرية اليوم، فهناك تعقيدات إسترتيجية جديدة تؤثر على إدارة (وتسليح وتجهيز) القوات في وقت السلم، وعلى قيادة هذه القوات (انشار وإستخدام القوات) في أوقات الأزمات والصراعات. يحدث هذه التعقيدات الإستراتيجية نتيجة تداخل العديد من الديناميكيات، وهذا محور تركيزنا في هذا الفصل من الكتاب. إنها تنشأ أساسا من (أ) السياسة الأمنية التي يتبناها الغرب في الوقت الحالي والتي ترتكز على استراتيجية تقليل المخاطر من خلال تواجد القوى العسكرية الغربية في المناطق التي بها دول ضعيفة وفيض من الحروب الأهلية والصراعات الداخلية (ب) تمكين جماعات العنف غيرالتابعة للدول من خلال قوى العولمة. يهدف هذا الفصل إلى ثبر غور ديناميكيات هذه الصراعات الجديدة، ويقدم هذا الفصل بعض الإقتراحات ويحدد تعريف بعض المعاني المتضمنة للقادة العسكريين العاملين على مستوى القيادة.

تشهد هذه الحقبة عدة اتجاهات وملامح زاد وضوحها خلال التسعينيات. إحد هذه المعالم تفادي الحروب الشاملة المتكاملة والهجمات المطولة التي لم يعد الغرب يشنها ويرى أنها حروب ضرورية، ولكنها فقط حروب اختيارية، حروب لم تكن حروب المصالح الحيوية، ولم تكن في هذه الفترة تجلب المصالح . وبالتالي كانت هناك حاجة

لتخفيف الخسائر حتى خسائر العدو، وأظهر السياسيون بالمثل إشمئزازاً من الخسائر المصاحبة لهذه الحروب. لاحظنا إختفاء العدوانية والميل لشن الحروب والتي كانت تنتهي الصراع بعد الحرب (لتواك 1995). في الغرب وفي هذه الحقبة وفي المناطق التي كانت تخلو من التهديد للوجود أصبحت الحروب شبه المتعقلة وشبه المقنعة غير مطروحة (ميولر1989). لقد أصبحت القوات العسكرية بصفتها كأداة للحرب تخضع للمساءلة القانونية والقضائية.

إذا كان لابد من شن الحروب فكان على الغرب اللعب بقوته . قوته الإقتصادية وتفوقه التكنولوجي في ساحات القتال التقليدية، وبذلك يتمكن من تحقيق أهدافه بأقل تكلفة ممكنة وبأقل إسالة ممكنة للدماء وفي أقصر وقت ممكن. كان هناك اتجاه إنساني لتفادي الخسائر والدمار، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على الشرعية عند القيام بعمليات الهجوم (لاتام 2002 ؛ لتواك 2002). وإذا كان ولا بد من شن الحروب وإذا كان لابد من استخدام القوات تحديداً في غرب أوربا فإن التبرير المستساغ عقلياً بالنسبة لعامة الناس هو التبرير الإنساني أي الحروب إنسانية وليست من أجل المصالح الوطنية أو القومية. كان لابد للعمليات العسكرية من أن تكون محكمة وخاطفة أو قصيرة، وكانت فقط توجه وتقتصر على قوات العدو. لم يكن هناك عدو بل "دول الشر"، "دول الضعف" وكوارث إنسانية مع إحتمال إنتشار المخاطر وعدم الإستقرار الإقليمي (الناتو 1999). في التسعينيات أصبحت القوات العسكرية هي التي تتولى حل المشكلات الإنسانية. كانت الدولة الضعيفة وغيرذلك من الدول في معظم الأحيان هي محور التركيز. كان التخطيط الدفاعي يتم تعريفه بتعقيدات الخطر وهي عدة منظومات من المخاطر الأمنية التي يصعب ترتيب أولوياتها . ومنظومة من المهام العسكرية تتراوح

بين القتال العنيف وحسم اصراعات الأقل عنفاً وعمليات حفظ السلام. أما تحقيق الأمن وتطوير سياسة الدفاع في الغرب فقد بقيا بعيدين إلى حد ما.

بالنسبة للغرب كان تاريخ 11 سبتمبر "نداء صحوة وقح". كان هذا التاريخ يعتبر نهاية الوقفة الإستراتيجية وحدا للتصور الثقافي الغربي للحرب. نظرت القاعدة وأتباعها للحرب من منظور وجودها أو استمرار بقائها. أصبحت الآن المخاطر ملموسة محسوسة بشكل أكبر وسريعة الظهور والرصد. أصبحت المخاطر جزءا لا يتجزأ من مجتمعاتنا المفتوحة.

- إننا نبتعد عن عالم الأعداء لنقترب أكثرمن عالم الخطر، حيث يصعب تقدير حجم المخاطر، ودون أن نتمكن من تحديد المخاطر أو التعرف عليها ولا ندرك الوقت ولا المكان الذي تظهر فيه المخاطر. لا يمكن احتواؤها جغرافيا أو بشكل مؤقت، ولكنها ذات طبيعة عالمية بلا حدود. (بيك 1992:20).

ونتيجة لذلك ومن الناحية الجغرافية، فمنذ 11 سبتمبر تنظر دول الإتحاد الأوربي وحلف الناتو لمصالحهم الأمنية من منظور عالمي. هذه الفكرة تعني أن المخاطر تتداخل وتتضافر بحيث يصبح أحد المخاطر سبباً أو دافعاً أو حافزاً للآخر.

أصبحت الدول الضعيفة ملجأ آمناً للجماعات الإرهابية والعصابات الإجرامية مما أدى إلى إختراق الحدود وتهريب المخدرات والماس وتنشيط تهريب النساء، ومن ثم زاد تصدير الفساد وزاد عدم إستقرار الدول المجاورة. إن لهذا كله تداعياته وآثاره على الشعوب وعلى الدول الغربية (فورهوف 2007): الجوانب الداخلية والخارجية للأمن تتضافر وتتداخل. حالياً ينظر لكل فئآت الإرهاب على أنها متصلة ببعضها البعض بل

وموحدة (الإرهاب وزيادة تكنولوجيا أسلحة الدمار الشامل والدول الضعيفة وأمن الطاقة والتنافس علي الموارد)، ينظر لكل هذه القضايا على أنها جوانب متداخلة متصلة ببعضها وتتطلب توجها عقلياً وفكرياً عالمياً، وتتطلب إجراء محلياً. ولقد نتج عن هذا السياق الأمني منحى تحذيري، إذأصبحت المخاطر بحاجة ماسة لإدارة نشطة (كوكر 2005).

بالنسبة للعسكرية الأوربية فإن زيادة المخاطر قد أنتجت حقبة من التدخلات الإستراتيجية حيث تتصادف وتلتقي الحوافز الإنسانية (إجناتيف 2002).

حدود التوجه الفكري الاستراتيجي الغربي

بسبب انشغال الغرب بالتدخلات الإستراتيجية أصبح الغرب يواجة مشكلة تصورية فكرية. إن للتدخلات الإستراتيجية أهدافا محدودة في الحروب المحدودة. مع ذلك فإن العقلية الغربية الإستراتيجية قد تعثرت في فهم أي شيء لا يتضمن الصدام الجماعي للقوات المسلحة النظامية وغموض الحروب الأهلية والعصيان أو الإرهاب والحروب التي تنشب بين الولايات داخل الدول وتلك التي تنشب بين الدول.

إن إستخدام وتطبيق القوة يتطلب أن يكون ذلك الاستخدام بطريقة واضحة ومنطقية ومقنعة، وأن هذا إستخدام القوة سيتضمن مهاما ذات أهداف سياسية محددة. إذا لم يتوفر شرط المنطق يصبح استخدام القوة إجراماً. إن الشريعة الإستراتيجية للغرب تتمحور حول العلاقة العاقلة المعقولة بين المدخلات والمخرجات. يبشر بهذه الوحدة المعرفية الفكر القانوني الذي يحدد ويعرف الجانب الذي يجوز له أن يحارب (المقاتل أو المحارب) ومن يستحق الحماية (المدنيون) ومتى يسمح بإستخدام القوة، وما الطرق

المسموح بها إدارة الحروب. ينظر للحرب على أنها نمط أو نظام معقول ولكنه مميز عن السياسة ويختلف عنها. إنها تعني الصراعات وتتضمن التكتيك والعمليات والإستراتيجيات. إنها تعني أساساً الصراع الذي يهدد ويفتك، والمصطلح الشائع هو أن الحرب حركة ونشاط ديناميكي. ولتبيان هذا التمييز أصبحنا نستخدم كلمات مثل كامة التشعيب وكلمة الفئات وأصبحنا نتحدث عن عبارات مثل تقليدي وغير تقليدي وكلمة مرتفع مقابل كلمة منخفض وكلمة منتظم مقابل غير منتظم وداخل الدول مقابل بين الدول وأحيانا تستخدم عبارة قوة عسكرية مقابل عنف إجرامي. لقد بُنيت العقيدة الغربية والتربية الغربية على هذه التصنيفات والفئات من الصراعات. يتوقع السياسيون وعامة الناس شرحاً منطقياً وعرضاً واضحاً لتحريك ونشر القوى العسكرية، ويتوعقعون عرضا أو توضيحا ذا مصداقية يمكن فهمها وتقييمها وقياسها. إن هذا هو موروث الفكر العسكري للحرب العالمية الثانية (سميث 2005).

ومع ذلك، وكما يؤكد كل من سميث وبيتل (2005) "أن الحرب كقرار خطير مستفحل داخل في الصراع وفي الشوؤن الدولية ....لم يعد موجودا". وما نواجهه نحن الآن بدل ذلك هو العداء المستمر والذي عادة يتم التعبير عنه بالوسائل غير العسكرية، مثل الدعاية والإثارة السياسية. لم تعد القوة العسكرية تستخدم لحسم النزاعات السياسية ولكنها تستخدم لخلق أجواء تتحقق فيها نتائج إستراتيجية.

نحن نعيش حالياً في عالم دائم المواجهة ودائم الصراعات، وتقوم العمليات العسكرية بالمساعدة على تحقيق الهدف المطلوب ولكن بطريقة أخرى.

منذ الحادي عشر من سبتمبر انتقلت القوات الغربية إلى العراق وأفغانستان بهدف تحقيق عدة أغراض يتعذر على طرف واحد تحقيقها: مثل نشر الديمقراطية منع الإرهاب وقهر العصيان والإنشقاق وتحقيق الإستقرار وتحقيق الرخاء لبلد مزقته الحروب، وإعادة الإعمار وبناء الدولة وإصلاح قطاع الأمن. تدعي البلاغة السياسية الغربية بأن الوجود العسكري يحقق مصالح إنسانية. مع ذلك وبسبب التورط الدموي في عمليات مطولة مكلفة دون تحقيق الإستقرار الدائم ودون وضع نهاية للحروب في كل من الدولتين، فقد وجد السياسيون والعسكريون بأن التحديات تزداد يوما بعد يوم وأصبح من الصعب عليهم كسب ثقة مواطنيهم وإقناعهم بما يقومون به وتبرير تورطهم. المنطق الإستراتيجي غير واضح، كيف يمكن للوجود العسكري الغربي تحقيق الأمن. ما العلاقة بين إنتشار القوات في مسرح العمليات في منطقة معينة وتشغيل العاطلين في هذه المنطقة والهدف السياسي للعملية؟ ما معنى النجاح؟ الحقيقة المقلوبة على أرض الواقع لا تتوافق مع التوقعات والآمال، والمسميات المنمقة لا تتوافق مع الواقع. إن الغرب يعيد اكتشاف الديناميكية الفاسدة العنيفة لحقبة ما قبل الحداثة، إنه أصبح يتبنى الأساليب التقليدية لإدارة وإشعال الصراعات بين المجموعات الصغيرة وما تقدمه العولمة من مفاجآت لهذه المجموعات الصغيرة.

إعادة اكتشاف الديناميكية الفاسدة للحروب القبلية

معظم الصراعات تنسب حاليا داخل الدول. إنها لا تتضمن بالضرورة صدامات واشتباكات بين القوات العسكرية. ليس هناك إعلان رسمي بوجود هذه الصراعات، ولا توجد نهاية لها. ليس هناك عداء إنساني سهل التحديد. الحدود لا تعني الكثير حالياً، ولم تعد اتفاقيات جنيف تعني الكثير حالياً. إذا تم الإتفاق بين الأطراف المتنافسة فليس هناك ضمان لتقوم هذه الجماعات بمباركته والموافقة عليه. القتال غير مستمر، كما أن

التهديد بالقتال كامن ودفين. ليس هناك مسرح محدد للحروب ولكن العنف قد ينشب في أي مكان.

إن الصراعات التي تحرك القوى العسكرية للغرب عادة ما يكون لها عوامل عميقة مختلطة يصعب فهمها بإستخدام المفردات اللغوية التقليدية الاستراتيجية القديمة. بالنسية لبعض الشعوب وبعض الثقافات قد يكون للحرب أهداف مختلفة (رمزية شعائرية أو وجودية تتعلق بالبقاء) كما أن هذه الحروب تخضع لقواعد وسياسات مختلفة. قد لا تكون مرتبطة بالسياسة، وقد لا تكون ذرائعية حسب ما اعتادت عليه القوى الغربية المسلحة (فان جريفلد 1991 ؛ كوكر 2003). وكما يقول رونفلدت (2007) هذا هو عصر حرب الأقارب. الملامح والصفات الرئيسية للحروب القبلية هي في العادة الشرف والإحترام والكبرياء والإنتقام والعار والتعويض وإسالة الدماء والتبادل الشريف. رغم أن الأقاليم الداخلية قد نظمت الحروب وأدارت العنف بدقة ، وقامت على الأقل ببذل الجهد بربط الحروب بالتكلفة السياسية واحتساب الفوائد، إلا أن مثل هذه المجموعات المتقاتلة تشن الحروب لعدة أسباب لا حصر لها من الذرائع والأسباب الرمزية. حاليا تنهار الفروق بين الحرب والجريمة، وبين القوات المسلحة والمدنيين. لقد حلت الهجمات المتقطعة والقصف بالقنابل والمذابح محل المعارك. لقد أصبح من الأمور المعتادة التداخل مع قوات العدو والإختلاط بالسكان المدنيين، كما أصبح التبديد الزائد للأموال النمط السائد. وبسبب الخضوع للعواطف فغالباً ما تضيع العقلانية.

لقد إستحدث (كالدور 1999) مصطلح "سياسة الهوية هي الأساس" لكي يصف به الإقتصاد السياسي لمثل هذه الصراعات: أصبحت المطابة الكاملة بالسلطة تستند إلى القبيلة أو الأمة أو العشيرة أو الجماعة الدينية. الحروب بين الجماعات مقارنة بالجيوش

أصبح المنتصر فيها ينتسب لهويته. النصر العسكري ليس حاسماً ولا هو هدف في حد ذاته، بل الهدف المنشود هو ما يكتسب من الأرض، ومن خلال إكتساب القوة السياسية وليس القوة العسكرية. إستخدام السلاح وطرق الحصول على مكاسب سياسية أصبح يشمل التطهير العرقي والإغتصاب وإغتيال الشخصيات البارزة. الحرب ليست شيئا يجب أن ينتهي. في هذا السياق فإن المناطق أو الأطراف المتحاربة عادة ما تنشد الدعم المالي من جهات خارجية ان وهذه الجهات بؤرها أيضا تعتمد على العنف المستمر. هذا يؤدي إلى سلسلة من العلاقات الإجتماعية قوامها السلب والنهب والتي عادة ما تنتشر كالرماد في الهشيم. ونظرا لأن الأطراف المتحاربة تهدف إلى نشر الخوف والرعب والكراهية فإنهم عادة يتصرفون بطريقة تجعلهم جميعا شركاء في خلق جو من عدم الأمان والريبة. إن الحرب ليست وسيلة بل هي هدف في حد ذاتها.